جماليات الخطاب الشعري في قصيدة –رصاصة لم يطلقها حمه لخضر- للشاعر سليمان جوادي.

The Aesthetics of Poetic Discourse In The Poem :A Bullet That Was Not Fired By Hama Lakhdar - by Suleiman Djawadi

الدكتورة: عوادي يسمينة.

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الشهيد حمّة لخضر-الوادي(الجزائر)

Naimsouf23@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/22 تاريخ القبول: 2020/11/04 تاريخ النشر: 2021/03/15

- **ملخص:**

تقوم هذه الدراسة بتتبع جماليات النص الشعري الموسوم بـ:"رصاصة لم يطلقها حمة لخضر" للشاعر سليما جوادي،حيث نتحرى من خلالها الغوص في جماليات تفاصيل الإنساني والبطولي في أسطورة الشهيد حمة لخضر،من خلال تتبع تأثير ذلك عبر اللغة والفضاء والاستشراف الذي طرحته القصيدة بقوة فنية فريدة.

الكلمات المفتاحية: جمالية ؛ الخطاب؛ الشعري؛ تبئير؛ رصاصة.

Abstract:

This study seeks out the aesthetics of the poetic text entitled "A Bullet That was not fired By Hama Lakhdar" by the poet Suleiman Djawadi. Through which we investigate the aesthetics of the human and heroic details in the legend of the martyr Hama Lakhdar, by tracing the impact of that through language, space and foresight presented by the poem with unique artistic power .

key words: Aesthetics; Discourse; Poetic; focus; Bullet.

"سعى بعض الكتاب في ظل التجريب الإبداعي،إلى فتح الحدود بين الأجناس الأدبية وإلى تشكيل فضاء إبداعي مشترك،يجمع بين مكونات –ظلت لفترة- متباعدة،بهدف إبداع نصوص تحقّق الفرادة وشعرية الإختلاف"[1]،"فمن السمات الجوهرية للنص الشعري الجزائري المختلف،عدم وجود هوية شعرية تقيّد ائتلافه وتحدد انتماءه وتأسر لغته بردّها إلى أنساب شعرية معينة"[2]."إن النص الشعري بنية لغوية متميزة،وهو في حقيقة أمره ،مجموعة من

النصوص المتداخلة،تؤلف نظاما خاصا داخل هذه البنية ذات العلائق اللغوية المعقدة داخليا وخارجيا.ومن ثمة كان النص الشعري انقطاعا معرفيا وجماليا "[3].

في زحمة الأجناس الأدبية و تنافسها؛ لشغل حيز افي مخيال القارئ المتذوق للأدب خاصة، نجد الشعر يحاول تجديد أدواته ليجد له مكانة تجعل له بصمة أدبية؛تمكّنه من الحفاظ بريقه الجمالي،فهو،وإن كانت الرواية قد اكتسحت المجال الأدبي المعاصر ؛حيث لُقّب بعصر الرواية ،يبقى له المكانة التي تليق به خاصة تلك الآثار الأدبية التي شكلت محطات فاصلة وفارقة في الشعرية العربية والجزائرية خاصة ،لتشكل وسما في تاريخ الأدب. وفي هذا السياق سنتناول بالبحث قصيدة **"رصاصة لم يطلقها حمة لخضر " للشاعر سليمان جوادي**. إذ تعتبر قصيدته نموذجا فريدا في تاريخ الشعر العربي المعاصر .

نحاول في هذا المقال تتبع أبرز جماليات هذه القصيدة عبر العديد من العناصر التي نراها تتناسب وتتبع جماليات الخطاب ي هذه القصيدة.

- **تمثلات الشخصية الملحمية:**

لعل القارئ لهذه القصيدة يلحظ طغيان النفس الملحمي فيها، ممثلا في شخصية "حمه لخضر"[*]،[4]هذا الشهيد الذي فدى بلده بنفسه؛كي تحيا الجزائر ؛و ليُؤرخ بالدم صفحات ملؤها التضحيات الجسام ،وحب الوطن والدفاع عن حدوده.

في هذا النص الشعري،يباغتنا الناص بعنوان القصيد "رصاصة لم يطلقها حمه لخضر" وكأننا بالشاعر يريد أن يكمل الرصاصة الأخيرة التي لم يطلقها حمه لخضر .كما أن الرصاصة هنا تدل على الكلمة التي تغص بحلق الشعب بعد انتهاء الثورة التحريرية؛لأننا خرجنا من استعمار الأغراب،إلى استعباد إخوة الدم والدين والأرض.

تطالعنا القصيدة عبر تقنية الاسترجاع،لتدخلنا في عوالم "حمه لخضر":

"تذكرت حمه

ترى من يكون ؟!

شهاب أضاء البراري

ولكنه حين مات

أضاء الجزائر ،كل الجزائر

مات شهيدا "[5]

يتمثل **"حمّه"**هنا في كونه رمزا للشهيد الذي أنار الجزائر وأخرج المستعمر الذي أظلمت بلادنا بمجيئه،حيث قطع الأرزاق والأعناق وأباد ثوابت الأمة من لغة ودين وهوية،بطريقة ممنهجة و خبيثة.إن الشاعر هنا يقرص ضمائرنا بتذكيرنا بالشهيد ورسالته التي يجب أن نكمل بها الطريق لنبني جزائرنا ونحميها.

وفي مقطع آخر وعبر حوارية جميلة تتماهى ذات الشاعر وحمه بطريقة فريدة :

"وحمّه لا يعرف الشعر

إلا إذا كان أصفى من الحب

في أنفس الفقراء

وحمة مذ كان حمه

وهو يسمي الأمور بأسمائها

والدروب بأسماء أحلى النساء

وحمه يا صاحبي

كان يهوى الجزائر

يعشق "فطوم" والكبرياء

ويجهل ما في البديع

وما في الكناية والاستعارة

من حسن وقع لدى الشعراء"[6].

تؤسس القصيدة لمفهوم جديد للشعر،فهو عند حمه الذي يتقمصه الشاعر في هذه اللحظة،يمثل الصدق في القول والوصف ،والشعر يجب أن يهذب النفس ويرتقي بها إلى معارج الصفاء والسلام الذاتيين،كما أن الشعر لم يخلق لذوي الجاه للتسلية وللتسامر ،بل هو ما يعبر عن صرخات الفقراء والمحرومين من مناطق الظل والطبقات المطحونة. حمه قبل أن يكون مقاوما ومجاهدا،ثم شهيدا ،لديه حساسيته الخاصة للغة والأمكنة ،فهو يسمي الشوارع بأسماء أجمل النساء.

للمُدن دروبها وعطرها الخاص،وأنوثتها التي تميزها،مثل المرأة.اللغة أنثى والمكان عندما يُجمع يؤنث(أمكنة)فالجزائر بدروبها التي تحمل أسماء الغِيد،لن تموت فالدروب هي شرايين المدن و أوكسيجينها ،فإن انقطع واحد منها تولد دروب أخرى وأخرى،فاللغة عند حمة تعني الخصوبة والنماء، ولعل ذكر الشاعر لاسم "فطوم" حبيبته دليل على أن الجزائر أنثى لا تموت وستبقى ولاّدة معطاءً.

وفي جزء آخر من النص الشعري،نجد الشاعر يصف بطريقة رائعة البطل الشهيد "حمه لخضر" :

"أتيت

فكنت الندى لحظة القيظ

كنت المطر

أتيت فكنت اختزال المواسم

كانت عيونك أجمل صومعة في المدينة

كانت يداك احتفال القبائل

كنت الربيع الذي نشتهيه

وكنا صغارا نفتش داخلنا عنك

كانت عذارى المدينة

يبحثن عن رجل

يبعث الخصب فيهن"[7]

يحِنّ الشاعر لزمن "حمه"،زمن الرجولة الحقة والبطولة الخالصة،حمّه رمز الخصوبة والنماء،حمه الذي يبعث الفخر في قلوب البسطاء والأطفال الصغار ،حمه امتداد الربيع الذي يمثل الاستقلال الذي كان سببا فيه، يستعير الشاعر من السرد بعض تقنياته فيستعمل "**التبئير** "[8]في قوله "كانت يداه احتفال القبائل" فيداه اللتان يرفعهما لله؛ليحمي هذا البلد،حملتا البندقية وكانتا سمًّا زؤاما أذاق بهما الويل للعدو.صوّب الشاعر عدسة مِخياله في هذا المقطع،بالتركيز على **اليد** عوض كل **الجسد** ،فكانت هذه الجزئية من الجسم محل التبئر،مضرب فخر واحتفال من قِبل القبائل. وهذا يدلّ على أصالة الشاعر وارتباطه بتراثه،حيث أنّ العرب قديما كانوا يذكرونها(اليد) في أقوالهم : "فلان يده نديّة"،"سلمت يداك"...

يتحول "حمه لخضر" هنا إلى بطل أسطوري ينشر شذاه،الذي يمثل الحرية في كل ربوع الجزائر ويعبر عن صوت التحرر ،(الشهيد-حمه لخضر).

وفي مشهد يبعث على الفخر واستثارة الذاكرة وأمجادها ،يستخدم الشاعر خطابًا مُمسرحًا بطريقة بطولية:

" يقولون تدخل سوق المدينة وحدك

تقتل أعداء قومك وحدك

تدهش غيرك

تجعل أطفال "سوف" يتُوقون

للحرب مثلك

تجعلهم يعشقون الجنون

رويدك حمة لا تنتحر

فالصباح الذي كان مابين صدغك

والبندقية قد حاولوا أن يعيدوه ليلا طويلا...

أعادوه ليلا طويلا...

فلا تطفء النور يا ابن البراري

ولا تنتحر..." [9]

يحيلنا هذا المقطع إلى البطولة التي يحملها "حمه"،هذا الذي أصبح رمزا للشجاعة لدى الأطفال وقدوتهم الأصيلة التي تنبع من نسقنا الثقافي المحلي،لا من أنساق غيرنا المستوردة والدخيلة على ثقافتنا. يخاطب الشاعر حمه منبها إياه بعدم الانتحار،ففي هذاالسطر يتواصل الشاعر مع القيم عبر شخص حمه.قيمُ الرجولة والشهامة ونكران الذات وحب الوطن...هذه القيم التي كادت أن تموت،فالشاعر يترجى "حمة"(رمز هذه القيم) بأن لا ينتحر.

إن هذه القيم والمبادئ هي نواة الشعوب لمحاربة الطغيان والاستبداد. هي السد المانع لتغول أي قوة أو سلطة على سطح الأرض.حمة في هذا المقطع يمثل منارة للحرية و التحرر شأنه شأن الأحرار في كل مكان مثل "شيغفارا" وغيره من الأبطال الحقيقيين.

ينادي الشاعر مرة أخرى في دروب القصيدة ليُؤسْطِر شخصية البطل "حمّه" :

" رويدك حمّة لا تنتحر

فعذارى المدينة يُعلِنّ

أنْ لا عريس سواك يليق لبعث الخصوبة

وأن لا شهيد سواك يليق لقتل الرتابة

يقضي على أدعياء الخطابة

يغمر حاضرنا بالأخوة

يجعل من موتنا نقطة الابتداء

تعال ...تعال ولا تنتحر

فهذا "غيفارا" يموت

ليولد في الأغنيات الجميلة

يموت ليحيا

وأنت تموت لتصبح

فوق صدور الذين نسوك وساما

تموت لتفنى ...تموت لتفنى" [10]

تنتهي هذه القصيدة بهذا المقطع الذي يجمع بين البطولة والتراجيديا...حيث تشير هذه الأسطر إلى معنى الفحولة لتعيدنا إلى قيم الفروسية العربية القديمة،ف "حمه" هو بطل القبيلة الذي يأسر قلوب العذارى ،ويتمنين أن ينجبن منه شبيها له. "حمه" خطيب مفوّه،يصوّب فوهة بندقيته باتجاه كل أشكال الظلم والاستبداد. "حمه" سلّم مشعل الشهداء بقيمه الأصيلة للجيل الحالي الذي ابتدأ من حيث انتهى الأسلاف.لكن القصيدة هنا تنتفض بمرارة لتعقد مقارنة بين "غيفارا" وحمه" بصورة جنائزية،إذْ أنّ الأول تغرّدُ به حناجر قومه في الأغنيات حيث أضحى رمزا للحرية والتحرر والانعتاق فبقي حياً في الذاكرة الكونية، والثاني نسته قلوب رفاق الدرب والجهاد ليُعلّق فوق صدورهم نياشين النصر و البطولة المنسية.

- **خطاب المكاشفة...تعرية الواقع:**

تمثل هذه القصيدة رصاصة صدئة في جسد التاريخ،تعفّنت ولم تخرج ؛تشكل ميراثا ثقيلا على الذاكرة،يحاول الشاعر عبر مشرط اللغة الحاد و بلسم جمالياتها أن ينظف هذا الجرح الغائر ،عبر مكاشفة و محاكمة للكثير من الأشياء.

" مات شهيدا ؟

وظل شهيدا

سلاه المحبون والأقربون

رفاق السلاح نسوه؟!

رفاق السلاح لهم من يرافقهم

فاتق الله يا صاحبي

فمشاكل هذا الزمان كثيره "[11]

تضرب القصيدة تحت حزام الحقيقة؛لتكشف لنا ظِلّ البطولة،فهناك من أدعياء البطولة من نسى رسالة الشهداء رفقة الجهاد وأمانة حفظ الجزائر ،ورافق المال والبذخ هو وحاشيته بعد الاستقلال،وأسس للشرعية الثورية التي نهب باسمها مافوق الأرض و تحتها من خيرات.

يشحذ الشاعر سيف نقده ليتوجهه لأدعياء و باعة الكلام والوعود وكذا تجار الدين ليخاطبهم جميعا :

" هو الله

يدرك ما في القلوب

وما في الجيوب

وما يدرك في السماوات والأرض

ما في الورى من عيوب

هو الله أقرب منكم إلى الشعب

فاعتبروا أيها المؤمنون به علنا

أيها الكافرون به في الغيوب

هو الله حيّ

فلا تقتلوا ثقة الشعب فيه

ولا تغزفوا باسمه كل لحن طروب

هو الله أرأف منكم بنا

يتفقدنا كل حين

يعلمنا الصبر ،والحب

ينزع عنا جميع الكروب

هو الله أكبر من أن يكون عباءة باغ

وتاج بليد

وقول كذوب

هو الله أكبر من أن يكون

سلاحا يوجه ضد الشعوب "[12]

يسلخ الشاعر في المقطع،مساحيق المكياج والأقنعة المزيفة التي يلبسها بعض الدعاة ورجال السلطة،الذين كذبوا على الشعب وتاجروا بأحلامه البسيطة و شيّدوا ثروات طائلة،عبر وعود كاذبة ولا تنتهي. يذكرنا الشاعر بأن الله أكبر من كل شيء فهو الذي يعلم الغيب وما تخفي الصدور. يدق الشاعر مسامير نداءاته في مسامع هؤلاء لعلّهم يدركون سوء أفعالهم،فيبدأ بمن تاجر بالدين حيث يذكّره برأفة الله ورحمته،فكما أنه شديد العقاب،فهو رحيم غفور،بعيد عن الفتوى التي تعبق برائحة الموت والأكفان والكافور،فالله دعانا للصبر على المكاره،بحب الحياة والعمل في مناكبها وإصلاح ما فسد منها،وتعميرها بما يصلح للعباد.ففي النهاية على الدعاة تبليغ الرسالة للعالمين،وليس تنصيب أنفسهم آلهة صغيرة. كما أن هذا الكلام ينطبق على أصحاب السلطة باعتبارهم القائمين على شؤون الأمة.فالشاعر يطلق رصاصته في وجه الكذب والبهتان الذي تمارسه هذه الفئات منذ عصور.

تترادف رصاصات القصيدة تترا،في قول الشاعر:

"رويدك لا تنتحر

غاية الشهداء انتهت عندهم

ومن عندنا سوف تنطلق الأغنيات

التي رقصت بين صدغك والبندقية

من عندنا يبدأ الانتحار الجميل

ومن عندنا يزهر الجدب

والعقم يخصب

والانتصار يكون

ولكننا في انتظار زعيم يعلمنا

كيف نذهب لموت مبتسمين

يعلمنا كيف نبدع في الموت

أقبية لسلاطين أمتنا العربية

نحن بحاجة لزعيم

يصادر آمالهم ويبارك آمالنا

يراوح بين الأصالة والعبقرية

بين الطموح وبين الجنون"[13]

يطرح هذا المقطع إشكالية نفسية وجدانية خالصة فالشعوب العربية شعوب عاطفية بامتياز،ترفع معنوياتها جملة وتسقطها كلمة. فالكلمة التي يطلقها الزعيم الحاكم لها أثر السحر على الأمم،فالحاكم في أممنا العربية في الأغلب يخدم مصالح المستعمر القديم ويكون عبدا مطيعا لأوامره،فينهب بكل أريحية مقدرات الشعب وأرضه بمباركة السلطة.إن هذه الصيحة الجريئة في وجه السلطة ،هي ما يجدر بالشاعر الذي يمثل "المثقف العضوي"[14] في أمته،فهو لا يدّخر جهدا في التعبير عن آماله وآلامه. إن الشاعر هنا يبين صدق العلاقة بين الحاكم والمحكوم،فهو يعطي المعادلة البسيطة كي تنجح هذه الدالة ،حيث تتلخص في صدق

الحاكم مع رعيته ثم يصلح كل شيء من بعد.كما تطرح القصيدة خاصية مميزة يجب أن تتوفر في الحاكم ،هو أن يكون فذًّا في جرأته وذكائه وطموحه ...

- **شعرية الفضاء:**

يعتبر الفضاء في هذا العمل الأدبي سمة بارزة،إذ يلعب دورا مهما على الرغم من أن العمل المدروس هو قصيدة.

تتعدد الأفضية في هذه القصيدة وتتنوع دلالاتها ،ونذكر منها على سبيل المثال:

" والمدينة لا تقرأ الشعر
لا تفهم الشعر
تنبذ أبناءها الطيبين
ودون القراءة والفهم
تقرأ...تفهم هذي اللعينة
أن قصائد أبنائها الطيبين ممشكلة بالمشاكل
تدعو بأشكالها وبإشكالها
نحو تشكيل شكل جديد
لواقعها المستقر
أواقعها مستقر؟
وواقع أبنائها الطيبين
يبشرها بسقوط أخير
أفضل يا صاحبي أن نغير مجرى الحديث
فجدراننا هي جدرانهم
والمدينة ميراثهم "[15]

عبر انزياح جميل،يلوم الشاعر فضاء المدينة التي أنكرت الشعراء "رمز المثقف" ولم تعترف بما يكتبون،لأنها ربما ليست من مستواهم القرائي طرحا ولغة،وهذا يطرح سؤالا:لمن يكتب المثقف؟ وثانيا أن القارئ في أغلبه يعزف عن الكتب الفكرية ويميل إلى كتب الترفيه والتسلية التي تبدو بسيطة الطرح والفهم،فهي لا تثير الصداع في ذهن القارئ بل تدعو للمزيد والمزيد.كما يشير هذا المقطع إلى فكرة الرقابة على التفكير والتعبير ،فكل تفكير يتبعه تكفير وحبس وتبعات لا تحمد عقباها ،فللجدران آذان تسمع وأعين تراقب.

تتكلم القصيدة عن نكران الأفضية والمداءات لحمّة:

" ولكن حَمّه مشكلتي

لفظتني وإياه كل الشوارع

عاصمة الشرق...

عاصمة الغرب...

عاصمة الوسط المستباحة

تعجز عن حمل حمه

حمه هذا الذي مات مستشهدا

ويداه تضم الجزائر... كل الجزائر

ما أجمل الحب يا صاحبي

بل وما أتعس الشهداء"[16]

يعاتب الشاعر الأفضية على نسيانها لـ"حمّه" رمز الشهيد الذي سلته الأمكنة ،ويحضرنا قول :"ومن الحب ما قتل" حيث أن الشاعر يصل لخلاصة أن الشهداء ماتوا عشقا وهياما في الجزائر وفي سبيلها. حيث يغدو الحب فيما بعد تعاسة للشهداء الذين تصلهم أخبار وطننا،بحسب قول النص الشعري.

يمزج الناص التاريخ مع الفضاء ليستخلص العبر و يوقظ الذاكرة:

"لوجه الحقيقة أعلن :

أن نساء الجزائر أفضل منها

إذا ما اجتمعن في امرأة واحده

وأعلن أني أحب البراري

ولكن ما تحتها تقاسمه النبلاء

وأعلن أ صراخ المساكين في كفة

وقرار المرابين في كفة راجحة

فما أشبه اليوم بالبارحة

فما أشبه اليوم بالبارحة"[17]

تؤكد القصيدة على فضاء الوطن،الذي نهبه وسرق خيراته الباطنية من بترول ومعادن نفيسة،شذاذ الآفاق ومن تسيرهم أجندات خارجية ذات طابع كولونيالي بحت،تُقدّم فيها المصلحة الذاتية عن مصلحة الوطن والشعب.إن الشاعر هنا يذكرنا ليقول بأن التاريخ يعيد نفسه،فخيانة الوطن هي نفسها ولو كانت تحت مسميات أخرى وبوسائل أخرى وفي أزمنة مختلفة .

يواصل الشاعر جرأته وكسر المحظور،ليتحدث عن الثورة و فضاء الأوراس:

"لأوراس حلم تداعى

لأوراس صخر تفتت
صخر تشتت
حلم تداعى
لأوراس منزلة في فؤادي
ولكنني لم أعد أتصور
أن الذراع تخون الذراعا
وأن دمي وهواي
يصيران ملكا مشاعا
لأوراس منزلة في فؤادي
ولكن من صيروه إلها
وشادوا على جانبيه القلاعا
أضاعو الطريق إليه
فضاعوا وضعنا وضاعا"[18]

يتابع النص غوصه في المُحرج والمسكوت عنه،ليختار فضاء الأوراس ورمزيته،ويطرح إشكالية كتابة التاريخ الجزائري،الذي لم يدوّن بطريقة موضوعية تليق بالثورة الجزائرية المجيدة،فالثورة ليست الأوراس فقط؛فهي كل الجزائر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها،كل شبر سقته دماء الشهداء الطاهرة الزكية.

إن تاريخ الشعوب تصنعه الجماعة ولا تصنعه الذات الفردية. إن من احتكروا الحقيقة لأنفسهم بعد الاستقلال باسم الشرعية الثورية؛هم من أوصلونا لما لا يحمد عقباه.

إن مبادئ الثورة التحريرية التي أرساها بيان نوفمبر المجيد،هي مرتكز الجمهورية الجزائرية،فمن حاد عن هذه المبادئ والقيم المستمدة من الدين الإسلامي فقد مرق عن فهم الدولة المدنية،التي تدعو لأخلقة كل المفاهيم،بما فيها حتى العمل السياسي،الذي من مبادئه أن "السياسة هي فن الممكن".

اللغة الشعرية:

التحفت لغة القصيدة بصخب الثورة والتمرد على كل الأنساق،حيث كانت برائحة البارود وطعم التحرر من كل القيود التي تمنع الإنسان من ممارسة أبسط حقوقه.

- **القناع:**

هو " حالة من التماهي أو التلبس بشخصية أخرى،تختفي فيها شخصية الشاعر،وتنطق خلال النص بدلا منه"[19]

استعار الشاعر شخصية حمة في الكثير من المواضع،حيث نجد أن صوت الأول يختفي،في قوله:

"**وحمّة ها هو ذا** يجلس الآن **قربك**

ينشد "فطوم "آخر موّال عشق

ويقطف سنبلة نسيتها المناجل

يرسم للتعساء دروبا إلى المجد

يكتب بالأحمر الجمل الآتية:

لفطوم منزلة في فؤادي

ولكن..

لوجه الحقيقة أعلن:

أن نساء الجزائر أفضل منها

إذا ما اجتمعن في امرأة واحده"[20]

يعود بنا النص إلى تداخل صوت حمّه مع صوت الشاعر،فيتحول حمه إلى شاعر يكتب بدم الشهداء-"لون الثورة وهو كذلك الشيء الثمين الذي يسري داخل جسد الإنسان ليصبح رمزا وقربانا للشيء الذي يؤمن به"[21]- قصيدة عشقه - للجزائر= فطوم- فالجزائر متعددة،فالمؤنث يعني الخصوبة والإستمرار والثراء والتنوع الثقافي والجغرافي والعرقي واللساني. كل هذه العناصر وأكثر تجعل من الجزائر كيانا يعشق من أول نظرة.

- **التناص وشعرية الاستشراف :**

" إن الشعر الحقيقي هو ذلك الأثر الجمالي الذي يصدر عن كنه الأشياء وليس عن حيز الكلمات ...لأن الخطاب الشعري الحداثي يسعى إلى استشراف المستقبل"[22]،فالشعر الذي لا يحمل النبؤات وقوة الاستطلاع يعتبر خارج سياقات العصر و همّ الإنسان على مر العصور

"التناص – في أبسط صوره – يعني أن يتضمن نصا أدبيا ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتمتزج فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل. "[23].

استلهم النص بعض الإشارات التناصية الخاطفة والتي كانت من القوة بحيث تنبأت بما سيحدث الآن لأن هذه القصيدة كتبت في الثمانينيات ونورد هنا قول القصيدة:

"عيد بأروع حال يعود

ومملكة الشعر

ترسم في كل ثغر

مواسم حب

وتمنع سفك الدماء

وتمنع قتل الضحايا

يا مصر لن أبرح اليوم أرضك

لم تبق فيك من المضحكات بقايا

أنا قد هزمتك **فروعون**

إرفع يديك

فشعري **عصايا**"[24].

يذكّرنا السطر الأول من الشاهد بقول المنتبي **"عيد بأية حال عدت يا عيدُ"**.ولكن هذه المرة بصورة عكسية،حيث أن الشعر أصبح مصدرا للفرح والانعتاق والتحرر والأمل في غد أفضل،بعد أن كان في عهد المتنبي رمزا للذل والهوان، ولا أدل على ذلك ما دار بين المتنبي(المثقف) وكافور الإخشيدي (السلطة)،حيث خرج الشاعر خالي الوفاض من مصر هاربا منها كالجمل الأجرب. و شبها لذلك ،مصر التي ذكرها المتنبي في نفس القصيدة بقوله:

"وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء"**

حيث لم تعد مصر (رمز البلدان العربية) مصدرا للضحك والتهريج السياسي زمن "الإخشيدي"بل تحرر شعبها وحكامها من العبودية للآخر(المستعمر). كما أن الشاعر استعار من موسى عليه السلام نبؤته في دحر فرعون (رمز السلطة الظالمة) بشعره الذي يمثل روح التغيير والثورة على القيم الفاسدة والعرجاء،فالشعر بحسب الشاعر رسالة تحمل جينات التغيير والتحّول من السيء للأحسن.الشعر رديف الحياة؛فلا بد للحياة أن تنتصر على الظلم والطغيان.كما أن هذا المقطع يذكرنا بنواميس الكون في أن الخير يجب أن يسود وإن تأخر قدومه.

يستمر النص في البحث عن مساحات تعبيرية جديدة ، وذلك في قول الشاعر(المثقف):

"من الشعب جئت

من الأرض جئت

وأحمل ما يحمل من الحزن

والانشطار

أنا لا تقيدني الفلسفات

ولا أستعير أصابع غيري

ولا أستجير بأفكار غيري

وأقرأ ألف حساب لأي شعار

ولكنني في هوى الأرض والشعب

أرفض كل حوار

أنا لا أنَظِّرُ

لكن أعيش مع الشعب في الأرض

إن داسني ظالم

لا أفتش عن سيف جدي

ولا أستغيث بفرسان ذي قار

أو حاملي ذي الفقار "[25]

لا ينفصل الشاعر عن الشعب الذي ولد من رحمه،فهو لسان حاله،فهو إن تعلق الأمر بمصير وطنه فسيكون من جنود الصف الأول،الذين سيدافعون عن حرمة البلد وحدوده،سيكون أصيلا ولن يستعير بلاغة أي أحد كي يعبر عن حبه لوطنه فهو أصيل ثقافته التي تقدّس الفروسية والشجاعة والمروءة.الشاعر هنا يستشرف ما يجب أن يكون عليه المثقف الحقيقي الذي لا يبتعد ويتنكر لقضايا وطنه والتحديات الكبرى التي تواجهه.

يصرّ الشاعر على هذا المعنى الذي لا يفارق روح القصيدة عند قوله:

"أنا لا أنَظِّرُ

إلا إذا نَظَّرَ الشعب فيَّ

ولكن لوجه الحقيقة

أحلم فوق اللزوم

وأعشق فوق اللزوم

تراني أدمر كل دمار

وأفتح ما يعجز الفاتحون عليه

وأركب كل بحار

أنا لا أُنظِّرُ

لكن أعيش مع الشعب حيث يعيش

وشعبي...

وإن كانم يحمل أسفاره باليمين

يسجل أن ليس أفضل للقلب

من خفقة حرة في اليسار"[26]

يحقق هذا النص استشرافا حدث بتاريخ: 22 فيفري2019،هذا الحدث الجلل الذي غير تاريخ الجزائر،والذي تمثل في الحراك الشعبي الذي اقتلع منظومة سياسية مريضة،لتبدأ بداية بناء جمهورية جديدة عبر انتخاب رئيس جديد. هو عهد ميلاد جزائر جديدة عاهد الشاعر نفسه بأن يحيا هذه اللحظة وإن طال انتظارها.

ختاما ،فإن هذا النص الشعري الفريد،يشكل أيقونة في الشعرية الجزائرية وعلامة فارقة ،تجعل هذا المتن يعد بالجديد الفني بعد كل قراءة، مما يجعلنا نحصل على دلالات متعددة ومتجددة.إن هذا النص وعلى بعد تاريخ كتابته عن زمننا الآني فإنه حمّال أوجه و يستحق القراءة في أزمنة متعددة ،ذلك أن روحه و سلالته الشعرية تنضح حرية وتمردا ورغبة في تكريس الحرية دستورا للحياة.

قائمة المصادر والمراجع:

راوية يحياوي،قضايا الأدب الجزائري المعاصر-قراءة في مختلف الخطابات- دار ميم لنشر،ط1. 2018.

أحمد يوسف ، يتم النص –الجينولوجيا الضائعة، تأملات في الشعر الجزائري المختلف-، منشورات الاختلاف،ط2002،1.

مشري بن خليفة ،سلطة النص، منشورات الاختلاف،ط1 ،2000.

[5] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،مديرية الثقافة لولاية الوادي-الجزائر-،2012،ص15.

[6] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص17.

زيتوني لطيف،معجم مصطلحات نقد الرواية،مكتبة لبنان،2002،لبنان.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=201504&r=،يوم:21-04-2020،الساعة 21:32.
سامح الرواشدة،القناع في الشعر العربي الحديث-دراسة في النظرية والتطبيق،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت ،1999.
أحمد قيطون ،الأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر،مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب،مطبعة الرمال،ط1،2016.
عبد الله حمادي ،الشعرية العربية بين الاتباع والابتداع، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،مطبعة دار هومة،ط1،2001.
أحمد الزعبي،التناص نظريا وتطبيقيا،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ،ط2، الأردن،2000 .

هوامش البحث:

[1] راوية يحياوي،قضايا الأدب الجزائري المعاصر-قراءة في مختلف الخطابات- دار ميم للنشر،ط1،2018،ص،157.

[2] أحمد يوسف ، يتم النص –الجينولوجيا الضائعة، تأملات في الشعر الجزائري المختلف-، منشورات الاختلاف،ط1،2002،،ص97.

[3] مشري بن خليفة ،سلطة النص، منشورات الاختلاف،ط1 ،2000،ص14.

[*] ولد القائد البطل حمة لخضر خلال 1930 بقرية الجديدة ،ينتمي إلى قبيلة أولاد زقزاو وهي أحد فروع فرقة رباع الشمال من عرش الربائع،ويذكر حمه لخضر بلقبين هما عمارة حمه لخضر أو الشايب حمه لخضر وكلاهما صحيح،نشأ وتربى الشهيد حمه لخضر في أسرة بدوية تعتمد على تربية المواشي سجل البطل حمه لخضر ملاحم بداية من معركة هود كرييم حتى استشهاده في معركة هود شيكة، يوم 9 أوت 1955.

[4] رشيد قسيبة،البطل حمه لخضر ودوره في الثورة التحريرية (1930-1955)،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،الجزائر،عدد12،2019،ص24،15،13،12.

[5] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،مديرية الثقافة لولاية الوادي-الجزائر-،2012،ص15.

[6] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص17.

[7] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص33.

[8] التبئير:هو تقليص حقل الرؤية عند الراوي وحصر معلوماته والصور التي يرسله للمتلقي.

- ينظر: زيتوني لطيف،معجم مصطلحات نقد الرواية،مكتبة لبنان،2002،لبنان،ص40.

[9] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص24،23.

[10] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص41،40.

[11] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص15.

[12] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص36،35،37.

[13] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص37،36،35.

[14] المثقف العضوي: لا يختزل فهما وتعريفا في ذلك المثقف المرتبط بالجماهير فحسب، الراغب في التغيير والذي يعمل أوعليه أن يعمل من أجله. "المثقف العضوي" في فكر غرامشي هو صاحب مشروع ثقافي يتمثل في "الإصلاح الثقافي والأخلاقي".

- ينظر:الرابط الإلكتروني(الحوار المتمدن):

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=201504&r=0،يوم:21-04-2020،الساعة 21:32.

[15] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص14،13.

[16] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص18.

[17] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص20،19.

[18] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص22،21.

[19] سامح الرواشدة،القناع في الشعر العربي الحديث-دراسة في النظرية والتطبيق،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت ،1999،ص10.

[20] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص19.

[21] أحمد قيطون ،الأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر،مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب،مطبعة الرمال،ط2016،1،ص171.

[22] عبد الله حمادي ،الشعرية العربية بين الاتباع والابتداع، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،مطبعة دار هومة،ط2001،1،ص197.

[23] أحمد الزعبي،التناص نظريا وتطبيقيا،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ،ط2، الأردن،2000 ،ص11.

[24] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص29،28.

[25] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،ص31.

[26] سليمان جوادي،رصاصة لم يطلقها حمه لخضر،32،31.